الفصل الأول

الإيمانُ باللهِ واليوم الآخر أساسُ عقيدة التوحيد

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الإيمانُ باللَّه واليوم الآخر أساسُ عقيدة التوحيد

العقيدة الإسلامية

معنى العقيدة: العقيدة هي: ما يستقرُّ في القلب من تصديق أو تكذيب، ومن إيمانٍ أو كفرٍ، وهي إمّا أن تكون عقيدةً صحيحةً، أو عقيدةً باطلة.

فمن آمنَ بوجود اللَّه، وأيقنَ بوحدانيته، فعقيدتُه صحيحة، ومن كفر بوجود اللَّه، ولم يقرَّ له بالوحدانية، فعقيدته باطلة.!

والإيمانُ باللَّه تعالى يستلزم الإيمانَ بجميع الكتب، والرسل، وبالملائكة، واليوم الآخر، وأن يؤمن بالقضاء والقدر، كما بيَّنه الكتاب العزيز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكما وضَّحه (جبريل) عليه السلام، حين دخل على رسول اللَّه ﷺ في صورة أعرابي، ورسولُ اللَّه ﷺ جالس مع أصحابه، فسأله عن الإيمان وعن أركانه؟ فقال له المصطفى ﷺ: (الإيمان أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من اللَّه تعالى، قال: صدقتَ)، قال عمر: (فعجبنا له يسأله ويصدّقه)[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري، وهو حديث طويل من رواية عمر رضي اللَّه عنه أنه قال: (بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد..) الحديث، وانظر جامع الأصول ١/ ٢١٦.

obeikandl.com

الإيمان بوحدانية اللَّه جلَّ وعلا

معنى الإيمان: الإيمانُ معناه: التصديقُ، وهو أن يؤمن الإنسانُ بالقلب، ويُقرّ باللسان، ويُطبّق هذا الاعتقاد بسلوكه وعمله، كما كان يقول علماء التوحيد:

الإيمانُ: هو التصديقُ بالجَنان، والإقرارُ باللِّسانِ، والعملُ بالأركان.

فمن أخلّ بواحدٍ من هذه الأمور، لم يكن صادقاً في إيمانه، وهو على خَطَر عظيم.

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ومعنى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي لم يداخلهم شكٌّ في هذا الإيمان والاعتقاد.

كيف يدخل الشخص في الإسلام؟

إذا نطق الشخص بكلمة التوحيد فقال: (أشهد أن لا إله إلا اللَّهُ، وأشهد أن محمداً رسولُ اللَّهُ) مخلصاً، صادقاً من قلبه، فقد صار مسلماً، ودخل في دوحة (الإسلام)، وكوكبةِ (أهلِ التوحيد) فصار له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، من الحقوقِ والواجبات، وعليه أن يلتزم بأحكام الدين الإسلاميّ الحنيف.

ففي الحديث الشريف: (من شهدَ أنْ لا إلٰهَ إلّا اللَّهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه[١]، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، أدخلَه اللَّهُ الجنَّةَ على ما كان من العمل) رواه البخاري[٢].

---

(١) أي روح مستقلّة مخلوقة بقدرة اللّه تعالى، لم يُخلق من أبوين كسائر البشر، بل هو من (أمّ) بلا أب، وهذا مظهر القدرة الإلٰهية المبدعة، ولهذا أضاف الروح إليه على وجه التشريف.

(٢) رواه البخاري في الأنبياء ٦/ ٣٤٢.

openkandil.com

وفي حديث مسلم (مَن شهدَ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللَّهِ، حرَّم اللَّهُ عليه النَّار)[١].

ولا يَخْرجُ الإنسان من الإسلام، إلَّا (بالكفرِ البَوَاح)، أي الواضح الذي ليس فيه شبهة، كالذي يُنكر أمراً من أحكام الدين، مُجْمَعٍ عليه، أو يكذِّب بشيء من القرآن، فإنه ينسلخ عند ذلك عن الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

سماحةُ هذا الدين

كان الأعرابيُّ يأتي من البادية، لا يعرف شيئاً عن الإسلام، فيسأل الرسولَ ﷺ: منْ أنتَ؟ وبمَ بعثَكَ اللَّهُ؟

فيقول له المصطفى ﷺ: أنا عبدُ اللَّه، وأنا رسولُ اللَّه، بعثني له لهداية الخلق، وأمرني بكسر الأصنام، وعبادة الرحمن!!

فينشرح له صدر الأعرابي، فيؤمن به ويصدِّقه، وينطق بكلمة التوحيد فيقول:

(أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله) فيصبح مسلماً، ويبشره رسولُ اللَّه بالجنة.

كما في رواية مسلم عن جابر رضي اللَّه عنه أنه قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول اللَّه: ما الموجبتان؟ ـ أي ما الذي يوجب دخول الإنسان الجنة، أو دخوله النار؟ ـ فقال ﷺ: (من مات لا يشركُ باللَّهِ شيئاً دخل الجنَّة، ومن مات يُشركُ باللَّه شيئاً دخل النار)[٢].

ركائز الإيمان الستُّ

ومن هنا يتضح لنا أن الإيمان بناءٌ راسخ، يرتكز على دَعَائمَ، وقواعدَ متينة ثابتة، وهذه القواعد[٣] ستة، إذا اختلَّ واحدٌ منها، اختلَّ البناء وتهدَّم،

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٢٩).

(٢) رواه مسلم رقم (٩٣) في الإيمان.

(٣) هي: (الإيمان باللَّه، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وبالقضاء والقَدَر).

obeikandl.com

وأصبح الإنسان على حافّة الخطر، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ويجب الإيمان بجميع الكتب السماوية، وبجميع الرسل الكرام، دون تفريقٍ بينهم، ومعنى (التفريق) أن يؤمن ببعض الرسل، ويكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى، فمن كفر بواحدٍ من الأنبياء والمرسلين، فقد تزعزع إيمانُه، لأنه كذَّب الله تعالى في إخباره وكلامه، بأنه أرسل (نوحاً) و(موسى) و(عيسى) و(محمداً) وسائر الأنبياء الكرام.

وهذا هو التفريقُ بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

الأركان الستة لصرح الإيمان

أمَّا الأركان الستة لهذا الصرح الشامخ فهي:

١ ـ الإيمان بالله تعالى والاعتقاد بوحدانيته.

٢ ـ الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣ ـ الإيمان بالملائكة الأبرار الأطهار.

٤ ـ الإيمان بالكتب السماوية المنزَّلة من عند الله تعالى.

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر (يوم القيامة) يوم الحساب والجزاء.

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر.

وسنتحدث عن كلِّ ركنٍ من هذه الأركان، بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

الركن الأول

الإيمان بوجود اللَّه ووحدانيته

الإيمان بوجود اللَّه عَزَّ وجلَّ، فطرةٌ خُلِقَ عليها البشرُ، لا تخصُّ المؤمنين فقط، بل كلُّ إنسانٍ يستشعر من داخل نفسه، بوجود خالقٍ لهذا الكون ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ولو تُرك الإنسانُ وشأنَه، دون أن يكون لأحدٍ تأثيرٌ عليه، لعاشَ على الإيمان، وبقي على الفطرة!!

ولكنَّ عَبَث العابثين من ذوي الأهواء الفاسدة، من الأشرار والملاحدة، هم الذين يفسدون على الناس طريق الإيمان، كما أخبر عن ذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله: (كلُّ مولود يُولد على الفطرة ـ أي على الإيمان باللَّه ـ فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه ـ أي يجعلانه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ـ كما تُنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تجدون فيها من جَدْعاء)[1]؟

التمثيل الإبداعي في الحديث الشريف

انظر إلى التمثيل الرائع، الذي مثَّله عليه الصلاة والسلام، حيث صوَّر الطفل بالشاة، التي يخلقها اللَّه تبارك وتعالى، كاملةَ الخَلْق، جميلةَ الشكل والصورة، ولكنَّ الناس هم الذين يشوِّهون جمالَها، فيقطعون أنفها، أو أذنها، ويعبثون بها حتى تصبح ناقصة الخلْق، مشوَّهة التصوير.!

فالإيمان أصلٌ في الإنسان، والكفرُ عارضٌ فيه، والطفلُ عند ولادته يُخلق على (الفطرة السليمة)، وعلى الصفاء والنقاء، ولكنَّ المجتمع هو الذي يفسده، والبيئةُ السيئة هي التي تلوِّث فطرته، وتُفسد خُلُقه ودينه، لا سيما

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز رقم (١٣٥٨).

obeikandl.com

(أبواه) إذا كانا على فسادٍ في الدين، واعوجاج في العقيدة، فإنهما ينقلانه من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال، فيجعلانه يهودياً، أو نصرانياً، أو مجوسياً، كما وضّحه صلوات اللّه وسلامه عليه في هذا الحديث الشريف.

وكان (أبو هريرة) إذا روى الحديثَ الذي سمعه من رسول اللّه ﷺ يقول: اقرءوا إن شئتم قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية.

إنَّ الإنسان ليستشعر من قرارة نفسه، أن له ربًّا، خالقاً، مبدعاً، حكيماً، ولا ينكر وجودَ اللّهِ إلّا الأحمقُ المجنون، الذي عَمِيتْ بصيرتُه، وفَقَد عقلَه، وما أبدع ما قاله القائل:

فيا عَجَباً كيفَ يُعْصَى الإلهُ ... أم كيفَ يجحدُهُ الجَاحِدُ
وللّهِ في كلِّ تحريكةٍ ... وتَسْكِينةٍ أبداً شَاهِدُ
وفي كلِّ شَيْءٍ لَهُ آيةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أنَّه وَاحِدُ

قصة أعرابي نشأ على الفطرة

رأى شخصٌ أعرابياً يعيش في الصحراء، يمدُّ يديه نحو السماء، يدعو ربه، سائلاً المولى أن ينزل المطر، ليسقي أنعامه ومواشيه، فاقترب نحوه وسأله: كيف عرفتَ ربك؟ وكيف آمنتَ بوجوده؟!

فقال الأعرابي: يا سبحانَ اللّه!! أَويحتاجُ ربُّنا إلى دليلٍ وبرهان على وجوده!؟ أليس كلُّ ما في الكون يشهد بوجوده!؟

ثم أنشأ يقول: (البعرةُ تدلُّ على البعير، وآثارُ الأقدام تدلُّ على المسير، أفسماءٌ ذاتُ أبراج، وبحارٌ ذاتُ أمواج، وأرضٌ ذاتُ فِجَاج ـ أي طرق ومسالك ـ ألا تدلُّ على اللطيف الخبير؟)

قانونُ الأثَر يدلُّ على المؤثِّر

حقاً إنه منطق الفطرة، فهذا الأعرابي بسذاجته وبساطته، عرف الدليلَ الذي يرشده إلى اللّه، ويعرّفه بوجوده، فمن (الأثَر) يستدلُّ الإنسانُ على (المؤثِّر)، فإذا رأى في الطريق بعراً، عرف أنه مرَّ بهذا الطريق قافلة من الإبل

obeikandi.com

والبعير، وإذا رأى آثارَ خُطى أقدام، عرف أنه مرَّ بهذا الطريق مجموعة من المسافرين، الذين سلكوا هذا المكان، فإنه وإن لم يَرَهم بعَيْنه، لكنَّه يوقن بأنهم جازوا هذا الطريق، من آثارهم التي تركوها، كما قال القائل:

تلك آثارُنا تدلُّ علينا فانظروا بَعْدَنا إلى الآثار

إننا نرى في أسفارنا قصوراً، ودوراً، ومعابد، ونرى أهرامات، شَادَهَا الفراعنة، فماذا توحى إلى عقولنا هذه الآثار؟

ألَا تُنَبِّهنا إلى وجود أقوام، سكنوا هذه الدور والقصور، وشادوا تلك المباني الضخمة، والقلاعَ الحصينة، ثم رحلوا عن هذه الدنيا، رَحَلوا ولكنَّهم تركوا تلك الآثار، فنؤمن بوجودهم، وإن لم نعش الأزمان التي عاشوها!!

يقول الحقُّ جل جلالُه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٢١٨] (أولي النُّهى) أي أهل العقول.

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢] فاللَّهُ جلَّ ثناؤه يأمرنا بالبحث والتفكير، والسَّيْرِ في الأرض، لنرى آثار الأمم المكذِّبه، التي طغتْ وبغتْ، وأفسدت في الأرض، وكذَّبت رسل اللَّه، ماذا حلَّ بهم من العقوبة؟ ألم يخرِّب اللَّه ديارهم، ويجعلهم عبرةً لمن يعتبر!؟

❁❁❁

openkanal.com

مناظرة بين الإمام (أبي حنيفة) وبعض الملاحدة

ذُكر في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، أن جماعة من الملاحدة جاءوا إليه يطلبون منه أن يناقشهم في (وجود الله)، وتحدّوه أن يقيم لهم الدليل على وجوده.!

فقال لهم: لا بدّ أن تكون المناظرة على رؤوس الأشهاد، وأن يجتمع الناس ليسمعوا حجة كل فريق، ويحكموا من هو الغالب؟ ومن هو المغلوب؟

حدّد لهم موعداً بعد شهرين في يوم معيّن، ليحضر النّاسُ من كل مكان، ويشهدوا تلك المناظرة.

ولمّا كان اليوم المحدّد، حضر جمعٌ غفير من البشر، جاءوا من كل حَدْبٍ وصَوْب، وجاء المنكرون لوجود الخالق جلّ وعلا، وغصّ المكان بالحاضرين، وتأخّر الإمام (أبو حنيفة) عن الموعد ساعات، والناس ينتظرون حضورَه، حتى ضجّ الحاضرون، وأخذ الملاحدة يلوّحون بأن (أبا حنيفة) تهرّب من لقائهم ومناظرتهم، لعجزه عن المناظرة.!

وبينما الناس في ذهول وحَيْرة، إذْ قدم عليهم (أبو حنيفة) يُسرع الخُطَى، فعاتبوه على التأخر، فقال لهم: اسمعوا قصتي وخبري، لتعذروني على تأخري عنكم هذه الساعات!!

قالوا: ما ذا جرى لك؟

اصطَنَعَ لهم عذراً لا يكاد يُصَدَّق، ابتكره من دهائه وفطنته، ليقيم عليهم الحجة، فيما يزعمون من عدم وجود خالقٍ لهذا الكون!!

قال لهم: أرجوكم أن تعذروني، فلقد كنتُ مسافراً إلى البصرة، واللقاءُ بيننا كان في بغداد، وحال بيني وبينكم نهر الفرات الكبير، ولم أر سفينةً تحملني إليكم، ولا أستطيع أن أقطع النهر سباحةً، وبينما أنا متحيّرٌ في أمري،

كيف سآتي إليكم؟ إذْ بي أرى أخشاباً عظيمةً، تأتي من الغابة بنفسها، ثم ينضمُّ بعضُها إلى بعض، ثم تدخل فيها المسامير، ويصبح لها شراعٌ، وتصبح سفينةً، وتأتي نحوي فأركب فيها وآتي إليكم، فهذا هو سبب تأخيري.

بُهت السامعون، وأخذ المنكرون لوجود اللّه يتضاحكون، وقالوا: يا أبا حنيفة: اعقِلْ ما تقول، ماذا أصابك؟ هل يُعقل أن سفينةً متقنة الصنع، تُوجد بنفسها، من مجموعة أخشاب بدون صانعٍ لها؟ أتهزأ بنا؟

كيف تصنع سفينةٌ نفسَها بنفسِها، دون صانع ودون مهندسٍ أبدعها؟ أهذا كلام مقبول؟

فقال لهم: ويحكم، إذا لم تصدِّقوا بوجود هذه السفينة الصغيرة، بدون رُبّان سيّرها، وبدون صانعٍ أوجدها، فكيف رضيَتْ عقولُكم بوجود هذه السفينة الضخمة (سفينة العَالَم) التي حوت البشَرَ، والأفلاكَ، والأنعامَ، والبحارَ، والأنهارَ، أن توجد بنفسها دون موجد؟ وأن تكون ظاهرة للعيان بدون خالق؟

كيف تقبلون مثل هذا الباطل على أنفسكم، وتقولون: إنَّ هذا الكون البديع، وُجد بنفسه دون خالق؟ فَبُهتوا لهذا المنطق، وآمنوا واستسلموا، وأعظَمَ الناسُ هذه الحجة الدامغة من (أبي حنيفة) رحمه اللّه تعالى.

وصدق اللّهُ العظيم حيث يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾!! [الأنبياء: ١٨].

❁❁❁

openkanal.com

الأدلة على وجود الخالق جلَّ وعلا

إنَّ الأدلة على وجود (الخالق) جلَّ وعلا كثيرةٌ وساطعة، لا ينكرها إلَّا من فَقَد عقله، وسار به الشيطانُ إلى طريق العَمَى والضَّلال، وسأذكر من هذه (الأدلة العقلية)، بعضَ الأدلة والبراهين، التي لا يمكن أن يكابر فيها مكابر، ولا يجحد بها إنسان عاقل، سأذكر بعض هذه البراهين، ليظهر الصبحُ لذي عينين، فأقول مستمداً العونَ من اللَّه:

الدليل الأول: دليلُ الخلق والإحياء.

الدليل الثاني: دليلُ الإبداع والإتقان.

الدليل الثالث: دليلُ الحَدَث والمُحْدِث.

الدليل الرابع: دليلُ النِّظام والمنظِّم.

البرهانُ الأول

دليلُ الخلق والإحياء

أمّا البرهانُ الأول: دليل الخلق والإحياء، فإنَّ كلَّ عاقل يعلم علم اليقين، أن كلَّ مخلوق لا بدَّ له من خالق، كما قال تقدّستْ أسماؤه: ﴿اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

إننا نجد مخلوقات متنوعة، من (إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، وسهول، وجبال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وأطيار) وعُدَّ ما شئتَ من أنواع المخلوقات، هل يقبل عقلٌ أنها وُجدت بنفسها دون خالقٍ؟

من المستحيل أن يوجد شيءٌ دون موجدٍ له، فمن زعم أن هذه (السيارة) التي نركَبُها، وهذه الطائرة (البوينج) التي تقطع بنا المسافات الشاسعة، وُجدت بنفسها دون مخترع اخترعها، أو مهندسٍ ابتكرها، نرميه بالجنون، إذْ كيف

توجد هذه الآلات الدقيقةُ الصنع، في الطائرة، أو السيارة، بهذه الدقة والإتقان، دون مهندسين بارعين، بذلوا جهوداً مضنية في صنعها واختراعها!؟

لا يُتصوَّر قصرٌ بدون مهندس

إذا شاهدتَ قصراً فخماً مشيداً، قد بُني على أحدث طراز، وبأبدع هندسة وتصميم، تبهر العقل، وتجعلك معجباً أشدَّ الإعجاب، بهذا المهندس البارع، والباني الذي بَنَى هذا القصر، وجاءك من يقول: إنَّ هذا القصر الفخم، لم يصمِّمه (مهندس)، ولا بناه (بنَّاء)، وإنما تدحرجت الحجارةُ من الجبل، ورُصف بعضُها فوق بعض، وحصلت فيها الأبواب والشبابيك، دون نجَّار، ولا حدَّاد، وصارت قصراً مشيداً، بهذا الشكل البديع!! ألا ترميه بالسَّفه والجنون؟

هل عند إنسان ذرَّةٌ من عقل، أنْ يقبلَ بمثل هذا المنطق والهُراء؟

هذا البرهان هو الذي نبَّه عليه القرآن الكريم، حين أشار إلى (دليل الخلق والإيجاد) في آياته البينات، استمع إلى قولِ الحقِّ جلَّ وعلا، في مناقشة المنكرين لوجود الله، حيث يقول سبحانه:

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾؟ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وجود المخلوق دليلٌ على الخالق

الأسلوبُ أسلوبُ إفحام وتعجيز، وإنكارٍ وتوبيخ، يقول القرآن الكريم: هل وُجدوا بدون خالقٍ خَلَقَهم؟

هذا باطلٌ بالبَدَاهة والعقل، فإنَّ الصَّنْعةَ لا بدَّ لها من صانع، والمخلوقَ لا بدَّ له من خالق، فكيف يوجد شيءٌ من غير موجِد؟

أم هم خلقوا أنفسَهم دون خالق؟ هذا في البطلان أشدُّ من سابقه، فإنَّ المعدومَ، لا يمكن أن يخلق شيئاً، إذ هو غير موجود، وهم قبل ذلك كانوا في العَدَم، كما قال سبحانه: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾؟ [البقرة: ٢٨].

فهل يتجرأ عاقل أن يقول: أنا الخالقُ لنفسي، لم يخلقني أحد؟

إنَّ هذا باطلٌ بالبداهة والعقل، لأنه لو كان ذلك بقدرته، لخَلَق نفسه بأجمل هيئةٍ، وأبدع شكل، فهذه الدعوى باطلةٌ من الأصل، لا يتجرأ أحدٌ أن يتفوَّه بها، أو يقولها حتى في نفسه، حتى ولو كان ملحداً، لا يؤمن بوجود اللَّه تعالى!؟.

الاستفهام الثالث: أم يزعمون أنهم هم الذين خلقوا السموات والأرض؟ وهذا أشدُّ في البطلان من سابقَيْه، لا يستطيع أن يقوله أحد، مؤمنٌ ولا كافر، ولا يجرؤ مخلوقٌ من البشر، أن يقول: إنَّ السموات والأرض من خلقي، بل إنَّ الكفارَ الذين كانوا يعبدون الأحجار، إذا سئلوا من خلقكم؟ وخَلَق السموات والأرض؟ قالوا: اللَّهُ، وما نعبد هذه الأصنامَ، إلَّا ليقرِّبونا إلى اللَّه تعالى.!

كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] أي كيف يُصرفون عن عبادة الرحمن إلى عبادة الأوثان؟

إنهم يقرُّون بأن اللَّه هو الذي خلقهم ثم يعبدون غيره، وهذا أمر عجب.!بل هو أمر عُجَابٌ، في منتهى الغرابة والاستعجاب!!

الافتراضاتُ الثلاثة حول الخلق

وفي هاتين الآيتين المعجزتين بأسلوبها المفحم، وَضَعَهم القرآنُ الكريم أمام ثلاث فَرَضيَّات:

الأول: أن يكون وجودهم هكذا صُدفةً، من غير خالق خَلَقهم، وهذا ظاهر البطلان، لأن المخلوق لا بدَّ له من خالق.

الثاني: أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم، وهذا أشدُّ من سابقه في البطلان.

الثالث: أن يكون لهم خالقٌ، حيٌّ، جليلٌ، قدير، خَلَقهم فأبدع خلقهم، وهو اللَّهُ جلَّ وعلا، ربُّ العزة والجلال، الكبير المتعال!

فإذا بطل الفَرْضان السابقان ـ بمنطق الفطرة والعقل ـ ثبت الفَرْضُ الثالث، أن اللَّه خالق كل شيء!!

هذه البراهينُ من حجج القرآن الباهرة، في إفحام الخصم، بمنطقٍ واضح، سهلٍ يسير، ولِلَّهِ درُّ هذا الكتاب المعجز، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

شبَّه تعالى الحقَّ بقذيفةٍ نارية ـ قنبلة ـ تُقذف على رأس الضلال والباطل، فتشدَخُه وتُرديه قتيلاً!!

❁❁❁

obeikandl.com

البراهين على الخلق من القرآن الكريم

هذا البرهانُ (دليلُ الخلق) لفتَ القرآنُ الكريم أنظارَ البشر إليه، في آيات عديدة من الكتاب العزيز، لأنه (الأصلُ الأصيلُ) في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته، فلا تكاد سورةٌ من سور القرآن الكريم، تخلو من التذكير بالخلق والإيجاد، لينبّه تعالى العباد على عَظَمته ووجوده.

الأول: اقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] نبّه بلفظ (الخلق) على الخالق، أي اعبدوا ربكم الذي خلقكم من العدم، وخلق آباءكم وأجدادكم، وخَلَق جميع المخلوقات، اعبدوه لتتقوا عذابه، فهو وحده الإله الخالق، المستحقُّ للعبادة.

الثاني: وفي إثبات وجوده سبحانه، أقام تعالى البرهانَ على فساد عبادة الأوثان، فقال عزَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟ [النحل: ١٧].

أي هل الإلٰهُ الخالق المبدع، الذي خلق هذه المخلوقات، وأوجدها من العدم، كالأصنام التي لا تخلق شيئاً، ولا تعرف من عَبَدها ممَّنْ دَحَاها أو دَحْرجها؟ لأنها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا قدرة لها على فعل شيء أصلاً، فكيف تسوُّون بين الخالق القادر، وبين الضعيف العاجز؟

الثالث: وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢١] أي إنَّ هذه الآلهة المزعومة، مخلوقة نحتَها البشرُ بأيديهم، فكيف تَحْسُن عبادتها؟ وكيف تكون آلهة تُعْبَد من دون اللّه؟ وهم لا يخلقون شيئاً أصلاً!؟

التشنيعُ على من عَبَد الأصنامَ

الرابع: وزيادة في التقبيح والتشنيع على من عبدها من دون اللّه، قال سبحانه: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١].

أي هذه الأوثانُ أموات لا أرواح فيها ولا حياة، فكيف تعبدونها، وأنتم أفضل منها؟ لما فيكم من الحواس والحياة؟

الخامس: وفي سورة الأعراف، شنَّع سبحانه على المشركين في عبادتهم للأصنام، وتركِهم عبادةَ الواحد الأحد، الذي لا يعجز عن خلق أيِّ شيء أراده، في هذا الكون البديع، فقال تقدست أسماؤه:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾[الأعراف: ١٩١-١٩٣].

تفسير الآيات الكريمة

ومعنى هذه الآيات الكريمة: أيعبدون من دون اللَّه أوثاناً، لا تقدر على خلق أيِّ شيء أصلاً، وهي ذليلة ضعيفة مخلوقة؟ ومن حقّ الإله المعبود، الذي يستحق العبادة، أن يكون خالقاً لا مخلوقاً، ثم إنَّ هذه الأصنامَ لا تستطيع نصرهم، ولا تقدر أن تدفع عن نفسها أذى، ممَّنْ أرادها بسوء، لأنها في غاية العجز والضعف، فكيف يليق بالعاقل عبادتُها!؟

السادس: **وقد زاد في الإنكار والتوبيخ على من عَبَدها**، وساوى بينها وبين الخالق الحكيم القدير، فقال سبحانه: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

والمعنى: هل لهذه المعبودات من الأحجار والأخشاب، أرجلٌ تستطيع المشي عليها؟ أم لها أيدٍ تقدر على البطشِ بمن أراد السوء بها؟ أم لها أعينٌ ترى من التجأ إليها وعَبَدها، لتستجيب له الدعاء؟

أم لها آذانٌ تسمع بها الكلام؟ فكيف يليق بالعاقل عبادتها، وهي صمَّاءُ، عمياءُ، بكماءُ، عاجزة عن فعلِ أيِّ شيء؟

مثلٌ رائع يضربه القرآنُ لعبدةِ الأوثان

السابع: **وفي تمثيلٍ رائعٍ بديع**، ذكر سبحانه في سورة الحج، سفاهة المشركين وقلة عقلهم وإدراكهم، في عبادة هذه الأصنام الحقيرة، التي لا تقدر

على خلق ذبابةٍ، أو بعوضةٍ، أو أقلَّ من ذلك، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

أي يا عبدة الأوثان والأحجار، لقد ضرب اللّه لكم مثلاً فاعقلوه وتدبَّروه، إن هذه الأوثان التي عبدتموها من دون الرحمن، لن تقدر على خلق ذبابة، ولو اجتمعت واتَّحَدَتْ على خلق هذه الحشرةِ الضعيفة الحقيرة، ما قدرتْ على ذلك!؟ ولو أنَّ هذه الذبابة سلبت شيئاً من الطعام أو الطِّيب، الذي كانوا يدهنون به الأصنام، لما استطاعت تلك الآلهة المزعومة استرجاعَه.

ضعُف العابدُ الذي يطلب الخيرَ والنَّفعَ، من هذا الصَّنَم الحقير، وضَعُفَ المطلوب وهو الوثنُ الذي عُبد من دون اللّه، فكلٌّ منهما حقير وضعيف.

يا له من تمثيل رائع، في ذروة البيان والإبداع، يدركه الذكيُّ والغبيُّ، والعالِم والجاهل!؟

لماذا اختار القرآنُ ذكرَ الذباب؟

تذكيرٌ وتبصير: لقد عَبَدَ المشركون حجارةً وأخشاباً، عمياءَ بكماءَ صمَّاءَ، لا تستطيع مجتمعةً أن تخلق ذُبابةً، فضلاً عن أن تخلق إنساناً، سميعاً، بصيراً، متَّصفاً بالعقل والإدراك، والقوة والإرادة؟

ويختار القرآن الكريم ذكر (الذُّباب) بالذات، لضعفه، ومهانته، واستقذاره، لم يقل سبحانه: لن يخلقوا جَمَلاً، أو بقرةً، أو فيلاً، لِيُبْرِز حقارة معبوداتهم التي جعلوها آلهة، وعبدوها من دون الرحمن؟

وإنَّما ذكَرَ الذبابةَ لحقارتها، ومعلومٌ أنَّ خلق الذبابة مستحيل، كخلق الجمل والفيل، لأن الذبابة تحتوي على ذلك السرِّ المعجز (سرِّ الحياة) الذي هو في (الذبابة) كما هو في الإنسان والحيوان، فالذبابة لها روح، وفيها حياة، وهي على صغرها ـ تأكل وتطير، وتقف على الأنجاس والقذرات، وتولِّد للإنسان الأمراضَ الوخيمة، فإذا عجزت الآلهةُ المزعومة (الأصنام) على خلق ذبابة، فكيف تقدر على خلق ما هو أعظم وأضخم؟

obeikandl.com

وينبغي أن نعلم أن أعدى عدوٍّ للإنسان الذُّباب، فإنه يحمل أفتك أنواع المرض الخطير، يحمل «ميكروب» مرض (السلّ)، و(التيفوئيد)، و(الدسنتريا)، و(الرَّمد)، ويسلب نور العيون، فيَعْمَى الإنسانُ بسببه، وقد يسلب الحياة والأرواح، وهو الضعيفُ الحقير.

وهذا أعظمُ إنذار للبشر، على ما يحمله الذبابُ من خطر، فلا عجب أن يضرب به القرآن المثل، ليتَّقوا خَطَره وضَرَره!!

❁❁❁

obeikandl.com

مخلوقات بديعة في الكون المنظور

وفي سورة (لقمان) نبَّه تعالى على بديع خلقه، في هذا الكون المنظور، وما أظهر فيه من بديع الخلق والصَّنْعة، فقال سبحانه مُشيداً بعظمته، وجميل خلقه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠، ١١].

ذكر تعالى من مخلوقاته، أنواعاً من الخلق البديع، الذي خَلَقَه اللَّه لنا بقدرته، دون أن يُعِينَه على الخلق أحدٌ!!

- **ذَكَرَ أولاً خلْقَ السموات البديعة،** وهي بناء محكم رفيع، لا تستند على أعمدة، والناسُ يشاهدونها واقفة هكذا بقدرة اللَّه جلَّ وعلا.!
- ثم خَلَق ما تحت هذه السموات، من كواكب مضيئة، وشمس، وقمر، ونجوم، ومجرَّات، كلُّها تسبح في هذا الفضاء الواسع.!
- **وذَكَر تعالى ما خلقه في الأرض من جبال ثوابت،** لئلا تضطرب بالبشر فتهلكهم.! ثم أتبعها بخلق أنواع الحيوانات، والدواب، والطيور، والزواحف، ومن كلّ مأكول، ومركوب، ممَّا يحتاج إليه البشر.
- **ثم ذكر نعمة الماء الذي أنزله اللَّهُ من السماء،** رحمةً بالعباد، لأن الماء عنصر الحياة الأساسي، فأنبتَ بهذا الماء من كل صنف من النبات، وكلّ نوع من الأطعمة والأغذية.
- **ثم خَتَم الآيات بتذكير العباد بالخلق البديع،** الدالّ على وحدانيته ووجوده فقال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؟

أي هذا خلْقُ اللَّهِ وإبداعُه، وهذه مخلوقاتُه الدالةُ على وجوده، في (الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد)، فأروني ماذا خلقت الأوثانُ

obeikandi.com

والأصنام من مخلوقات؟ حتى نعلم استحقاقها للألوهية والعبادة؟

وهو سؤالٌ فيه (السخريةُ والتهكُّم) بالمشركين وآلهتهم المزعومة!!

هذه براهين خمسة في هذه الآيات الكريمة، تلفت الأنظار إلى وجود الخالق المدبّر العظيم، الذي أبدع جميع مخلوقاته، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.!

دعاء: إلٰهي دَلَّنا بديعُ خَلْقك على وجودك!! ودَلَّنا جميلُ كرمك وعطائك على فضلك!! فارزقنا شكر نعمك يا أرحم الراحمين!!

❁❁❁

obeikandl.com

البرهان الثاني

دليل الإبداع والإتقان

أما البرهان الثاني على وجود الخالق جلَّ وعلا، وتَصَرُّفِه في هذا الكون، فهو دليل **(الإبداع والإتقان)**: فإنَّ من نظَرَ إلى هذا الكون الفسيح، بعين العِظَة والاعتبار، تهديه بصيرتُه إلى وجود خالقٍ، مبدع، حكيم، أبدع الخلق، وأحسن الصُّنعة!!

خذ مثالاً على ذلك: خلقُ الإنسان في أحسن صورة، وأبدعِ إتقان، يقول الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

أي خلقناه في أبدع صورة، وأحسن شكل، في غايةٍ من الإبداع والإتقان، يمشي منتصبَ القامة، مستوياً على قدميه، يأكل بيده، ويمشي على رجليه، بينما سائر الحيوانات تأكل بفمها، وتمشي على أربع، وهي منكوسة على وجهها.!

تصوَّرْ لو أنَّ اللَّه عزَّ وجل، جَعَل عينيِ الإنسان في رأسه، لا في وجهه كيف سيمشي؟ سوف يضطرُّ إلى أن ينكِّس رأسَه، ويمشي كالدابة، والحمار ليرى الطريق.!

إبداعُ الخالق في خلق الإنسان

وتفكَّرْ كيف أبدع اللَّه في الإنسان (جهاز الهضم) لتناول الطعام، كيف رتَّبها ترتيباً محكماً دقيقاً، فلو كانت الأضراس في المقدمة، لمضغ الإنسان شفتيه، وقَطَع لسانَه، عند تناول كل وجبةٍ من الطعام، ولكنَّ اللَّه بحكمته، وتدبيره وإتقانه، جعل الأسنان في مقدِّمة الفم، تليها الأنيابُ لتقطيع الطعام، ثم على اليمين والشمال جعل الأضراسَ، للمضغ وطَحْنِ الطعام، أفليس هذا من الإبداع والإتقان!؟

وانظر بعين الاعتبار، إلى هذه العمارةِ الضخمة العملاقة (البُنْيةِ الإنسانية)

كيف ركّب اللّه فيها هذه الأجهزة الدقيقة، أبدع تركيب، وجعلها تقوم بمهماتها على أكمل الوجوه، كلُّ جهازٍ يؤدّي مهمّتَه (جهازٌ للسمع) و(جهازٌ للبصر) و(جهازٌ للهضم) و(جهازٌ للتنفس) و(جهازٌ للدورة الدموية) وفي الإنسان معاملُ ومصانعُ، في غاية الدقة والإتقان.!

هذه (**الكُلْيةُ**) التي هي بحجم (بيضة الدجاجة)، ماذا تقوم به من عمل جبّار؟ إنها تُنَقّي الدّم من السُّموم، ليتخلّص منها، ولولاها لفقد الإنسان حياته.!

وَلَوْ احتَجْنا إلى صنع (كُلْيةٍ صناعية) تقوم بعمل الكلية التي خلقها اللّه، لاحْتَجنا إلى جهازٍ ضخم، في حجم غرفة كبيرة يسكنها الإنسان، كما نشاهد ذلك في بعض المستشفيات (لغسيل الكُلى) وهي على ضخامتها لا تقوم بواجبها على الوجه الأكمل، لأن المريض يحتاج إلى تكرار الغسيل في كل ثلاثة أيام أو يومين، ويحتاج إلى أن يبقى تحت رحمتها إلى ساعات، مع المراقبة الدقيقة، والتعب المضني.!

وقل مثلَ ذلك في دِقّة (الإبداع والإتقان)، في العينين، وفي النطق، والإحساس، والعقل، والبَصَر، وسائر ما خلق اللّه في جسم الإنسان، لتشكر اللّه على نِعَمه، وتتذكّر قولَ اللّه العليّ الكبير.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟ [الذاريات: ٢١، ٢٢].

في خلق البشر عظاتٌ وعِبَر

وفي أنفس البشر آياتٌ وعِبَر، من مبدأ الخلق إلى منتهاه، أفلا تبصرون قدرةَ اللّه وإبداعَه، في خلقكم ووجودكم، من اختلاف (الصُّوَرِ، والألسنة، والألوان، والطبائع، والأشكال، والسمع، والعقل، والبصر)!!.

هذا اللسانُ قطعة صغيرة من اللحم، ماذا أودع اللّه فيه من السرّ الدقيق؟

إنه ينطق، ويتكلّم، ويعبّر عمّا في ضمير الإنسان من خفايا وأسرار، الإنسانُ وحده هو الناطق الذي يتكلّم، وسائر الحيوانات عجماوات لا تستطيع النطق!!

البقرةُ لسانُها أكبرُ من لسان الإنسان، فلماذا لا تتكلّم؟

وكذلك الجَمَلُ وسائرُ الحيوانات والدوابّ، لها لسانٌ ولا تستطيع النُّطْقَ والكلام.

إنه السرُّ الإلهيّ الذي أوجده اللّه في الإنسان.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؟ [البلد: ٨ ـ ١٠].

والمعنى: أَلَمْ نكرّم هذا الإنسانَ، فنجعل له عينين يُبْصِر بهما؟ ولساناً يَنْطِقُ به، فيعبّر عما في ضميره؟ وشفتين يطبقهما على فمه، ويستعين بهما على النطق، والأكل، والشُّرْب، والنفخ؟

أليس هذا الخلقُ والإبداعُ، من أعظم الدلائل والبراهين، على وجود اللّه وحكمته وقدرته؟

وهنا يتذكر الإنسانُ نعمة اللّه عليه، بخلقه في هذه الصورة البديعة، فيلهج لسانه بالشكر والثناء، ويقول ما قاله بعض العلماء: (سُبْحانَ من أنْطَق بلَحْمٍ، وأسْمَعَ بعَظْمٍ، وأبْصَر بشَحْمٍ)!!

جميعُ ما في الكون براهينُ على وجود الخالق

- **ثم انظر إلى جميع ما حولك من عجائب ومخلوقات هي في غاية الإبداع والإتقان،** لتشهد وجودَ اللّه وعظمته وجلاله، في (النبات، والشجر، والثمر)، فتحويلُ التراب مع الماء إلى غذاء، وتحويلُ الغذاء في جسم الإنسان إلى دماء، وتحويلُ الدماء إلى نُطَف، يخلق اللّه منها الأنثى والذكر، كلُّها شواهد على وجود اللّه ووحدانيته!!

اقرأ قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] أليس خلقُ الإنسان بهذا الإبداع والإتقان، معجزةُ المعجزات؟!

- **واستمعْ إلى قول اللّه العلي الكبير، وهو يسوق الأدلة على وجوده ووحدانيته:**

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ • أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ • أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٠ ـ ٦٤].

خمسة براهين على الوحدانية

● **هكذا ساق القرآنُ خمسةَ براهين في هذه السورة**، على وجوده، وألوهيته، ووحدانيته، وكلُّها براهين ساطعة على (الإبداع والإتقان)، والتفرُّد بالخلق والإيجاد، لا يستطيع المشركون أن يكابروا فيها، أو يعاندوا!

فالسماءُ، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والمطر، والزرع، والشجر، والثمر، كلُّها حقائق من الطبيعة موجودة، لا يستطيع أحد أن يزعم أنه خَلَقها، فلم يبق أمامهم إلَّا الإقرار، بوجود الخالقِ المبدع الحكيم ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ . . .﴾ [لقمان: ١١] أي هذا خلقُه تعالى وإبداعُه، وهذه مخلوقاتُه في الإنسان، والحيوان، والنبات، فأروني ماذا خلقت الأصنامُ والأوثانُ، حتى عبدتموها من دون الرحمن؟ وهو سؤالٌ فيه (السخريةُ والتهكم) بالمشركين، وآلهتهم المزعومة. وفي جميع هذه المخلوقات إبداعٌ في الخلقِ والصنعة ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

البرهانُ الثالث

دليل الحَدَثِ والمُحْدِث

- **من أحكام العقل البَدَهية، استحالةُ وجودِ شيءٍ من نفسه، بدون مُحْدِث**، فالصنعةُ لا بدَّ لها من صانع، والأثَرُ لا بدَّ له من مؤثِّر، والمخلوقُ لا بدَّ له من خالق.!

هذا هو قانونُ (الحَدَث والمُحْدِث) فإذا رأينا بيتاً في صحراء، واسعة شاسعة، لا يقبل عقلٌ أن يكون هذا البيت، حدث في هذا المكان بدون مُحْدِث له، بل يقضي العقلُ بأن هناك شخصاً بناه، لأن هذا البيتَ (حادث)، فلا بدَّ له إذاً من (مُحْدِث).!

الطفلُ الصغيرُ الذي لم يتجاوز سنَّ الخامسة من العمر، إذا كَسَر إناءً من الزجاج، وسألتَه: من كسر هذا الإناء؟ فلا يجيبك بقوله: إنه انكسر من نفسه، إنما يقول: أخي كسره، أو ابنُ عمي كَسَره، ولا يقبل عقلُه المحدود، أن يقول: هكذا حدث الأمرُ من تلقاء نفسه، وانكسر الإناء.!

- **حتى الحمارُ إذا ضربه أحد بعصا**، أو وَخَزَه بمسلَّة، يركض أو يرفس برجله، لأنه يعلم أن هذا الحَدَث لم يحدُثْ من تلقاء نفسِه، إنما بفعل فاعل، فكيف يقبل ملحدٌ على نفسه أن يقول: إنَّ هذا الكونَ، وهذه النجومَ والمجرّات، والجبالَ والأنهارَ، والبحارَ، حدثت لنفسها، دون خالق مُبْدِعٍ حكيم؟ وأن يَتَصوَّرَ أنَّ الإنسانَ، والحيوانَ وسائرَ المخلوقات، ظهرت بطبعها بفعل عواملَ كونية، ولم يخلقها إلٰه قدير؟!
- **وهنا ندرك روعة حجة البدويِّ الأعرابي**، حين سُئل: كيف اهتديتَ إلى اللّٰه؟ فقال ببساطة فائقة: (البعرةُ تدلُّ على البعير، وآثارُ الأقدام تدلُّ على المسير، أفسَمَاء ذات أبراج، وبحارٌ ذات أمواج، وأرضٌ ذات فِجَاج، ألا تدلُّ على السميع البصير)؟

إننا لا نبحث عن حدوث (المادة الأولى) للخلق، من أحدثها؟ وكيف

حدثت؟ وإنما نبحث كيف تحوَّلتْ هذه المواد الأولية، إلى مصنوعات مُتْقَنةٍ غاية الإتقان، ومُنَظَّمةٍ غاية التنظيم، لنعرف من صنعها وأبدعها!!

الساعة التي يحملها الإنسان في يده، ومصنع النسيج الدقيق الصنع، الذي يخرج أنواع الأنسجة الزاهية، والمطابع الحديثة التي تطبع الكتبَ، والصحفَ، والمجلَّات، بأحدث أنواع التقنية، وفيها ما يدهش العقول والألباب، هذه المخترعات المحْدَثة، هل وُجدت بنفسها، دون مخترعٍ مبدعٍ وصانع بارع؟

هل تقبلُ أن يقولَ لك قائل: هذه المخترعات لم يخترعها أحدٌ، إنما حدثت صُدفةً من اجتماع الأدوات الحديدية، والتقاء بعضهَا مع بعض، صارت آلاتٍ ومكائنَ؟ لا شك أنَّك تتَّهمُه بعقله، وترميه بالسَّفه والجنون؟

❁❁❁

obeikandl.com

قصَّةُ أولادٍ يسألون أباهم عن أمور شاهدوها

اجتمعَ ذاتَ يوم أطفالٌ مع أبيهم، فبادروه بالأسئلة الآتية:

كيف وُجدنا؟ ومن أوجدنا؟ من الذي يسيِّر الشمسَ فتشرق ثم تغرب؟ من يرعى النَّباتَ والشَّجَر؟ من ينبت الحبَّ والثَّمَر!؟ من يجعل القمر هلالاً، ثم يتدرَّجُ فيصبح بدراً، ثم يتناقص حتى يصبحَ دقيقاً كالخيط؟ ثم يغيب فلا يبقى له أثر؟

إلى غير ما هنالك من أسئلة كثيرة؟!

فقال لهم أبوهم: يا أبنائي الذي يفعل ذلك، هو (اللّهُ ربُّ العالمين)، خالقُ كلِّ شيء، وهو على كل شيء قدير!

فسألوه: أين اللّه؟ فقال لهم: إنَّ اللّهَ كبيرٌ عظيم، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفكار، إنَّما هذه الأمور التي ذكرتموها من آثاره، فنحن لا نرى اللّه، وإنما نعرفه من مخلوقاته وآثاره، وتلا عليهم الآية الكريمة: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

الوالد يقصُّ على أبنائه قصة غريبة

ثم جَمعهم أبوهم ذات ليلة، وقصَّ عليهم هذه القصة:

سار جماعة من أهل البادية، من القبائل النائية، البعيدة عن مواطن الحضارة، الذين لم يروا مراكبَ برّية، ولا جوّية، ساروا في صحراء، وبينما هم سائرون، عَثَرُوا على مركبة تشبه القُبَّة، ظنُّوها قبة مبنية في صحراء.!

بَحَثُوا عن باب هذه القُبَّة فلم يهتدوا إليه، ثم وقعت يد واحدٍ منهم صدفةً على (زُرٍّ) دون شعور، فانفتح الباب.

فقالوا: لقد انفتح بابُ القُبَّة، فتسارعوا إليها ودخلوا يبحثون عمَّا في

داخلها، فوجدوا فيها (آلاتٍ) و(أجهزةً) مختلفة، ولكنهم كانوا على حَذَرٍ أن يمسُّوا شيئاً منها، وكانت هذه المركبة من المراكب، التي تُسيَّر بواسطة (الرَّادار) من مركزِ توجيهٍ بعيد.!

أحسَّ أصحابُ المركبة أنها مصحوبةٌ بصَيْدٍ ثمين، من البَدْو السُّذج البُدَائيين، فحرَّكوها عن طريق التوجيه من بُعد، فانطلقت المركبةُ صاعدةً نحو السماء، وفوجئ هؤلاء المساكينُ، بأنها تطير بهم، فأصابهم هَلَعٌ وفَزَع، ولم يستطيعوا الفرارَ، وقد صاروا في الجوّ، ولو خرجوا منها لهَوَوْا إلى الأرض، واندقَّتْ أعناقُهم فتحطَّموا.!

ظنُّوا أنَّ الشياطين تُسيِّر هذه المركبة!!

وقال أحدهم: يمكن أن تكون هذه حيواناً عجيباً، أو طائراً له بطنٌ كبير، يصلح لركوبِ الناس.. ثم هبطت بهم المركبةُ، إلى جانبِ قصر عظيم، ليس فيه أحد من الناس، فخرجوا نحو باب القصر متسابقين إليه.!

انفتحُ باب القصر أمامهم بطريقة آليّة ـ كهربائية ـ فلمَّا دخلوه رأوا فيه من كل أمر عجيب وغريب، رأوا فيه مقاعدَ للجلوس مريحة، وأسرَّةً مزخرفةً للنوم عليها، وقاعةً ضخمة للطعام، ومطبخاً فيه من أصناف الأطعمة والأغذية، وفيه ستائر تغطّي النوافذَ، ودارُوا في جنباته فرأوا قاعةً كبيرة للاستقبال، مفروشةً بأفخر أنواع السُّجَّاد، وشاهدوا فيه قناديلَ معلَّقة في سَقْف البَهْو، وشاهدوا في هذا القصر من كل شيء مدهش وعجيب!

أخذوا يفكّرون في أمرهم، فقال بعضهم: إنَّ شيئاً خفيًّا مغيَّباً عنَّا، هو الذي أوصَلَنا إلى هذا القصر، وهو الذي رتَّب كلَّ شيء فيه، وهو الذي نظَّم وأتقن كلَّ ما رأيناه، وشاهدناه من عجائب، ولا بدَّ أن يكون هذا القصرُ، بناه مهندسون بارعون، وعمَّالٌ متقنون، بَنَوْه على غاية من (النظام والإتقان)، بَنَوْا هذا القصر ليكون مجلساً للملِك.!

وقال بعض الحمقى المجانين: لا تَعْجَلوا في الأمر، فهذه الأمور التي شاهدتموها منظَّمة، وبديعة، ومتقنة غاية الإتقان، إنَّما حدثت من تلقاء نفسها على سبيل (المصادفة)، وليس هناك (بانٍ)، ولا (صانع)، ولا (مهندس)، وإنَّما ظهر هذا القصر في هذه الصحراء بمجرد الصُّدْفة!!

فيا أبنائي الأعزّاء: الذين أثبتوا أنَّ هذا القصر، شَادَه عُمَّال ومهندسون بارعون، وأيقنوا أنه لم يوجد بنفسه، وإنما هناك قوة خفية صنعت هذا القصر، ونظَّمَتْه على غاية الكمال والنظام، نجحوا في الامتحان، وعرفوا الحقيقة، وإن لم يروا من صَمَّمَه وبناه.!

والذين اعتقدوا أن القصر، وُجد هكذا صُدفة من تلقاء نفسه، سقطوا في الامتحان، وثبت أنهم (حمقى مجانين)، لأنهم لم يفكّروا بعقولهم، فأثبتوا حادثاً بدون مُحْدِث، وصنعةً من غير صانع، وقصراً مشيداً محكماً، بدون مهندسٍ بارع، أفلا يستحقون أن نضحك عليهم!؟

الذين فكّروا بعقولهم، وأثبتوا أن هذا القصر العجيب، المنظَّم غاية النظام، والمتقن غاية الإتقان، لم يحدث بنفسه، وإنما له موجِدٌ وصانع، هم **(أهلُ الإيمان)**، فقد أُكْرِموا غايةَ الإكرام، وفُتِحت لهم أبواب الجِنَان، فقد عرفوا الحقيقة، ونجحوا في الامتحان!

وأمّا الحمقى المجانين، الذين أنكروا أن يكون للقصر مهندس بارع، وصانعٌ لامع، فقد سقطوا في الامتحان، ثم وجدوا أنفسهم مطرودين من القصر، يُضْرَبون بالسِّياط، ويُجرُّون بالسلاسل، ويساقون إلى أقبية العذاب، أذلّاء مهانين، فإنهم هم **(الكُفّارُ)**، جَحَدُوا الصانعَ، وأنكروا الخالق، فاستحقُّوا عذاب النار!!

هذا يا أبنائي مَثَلُ المؤمنين العقلاء، الذين فكّروا بعقولهم، فاهتدوا إلى الإيمان بالخالق، المبدع الحكيم، ومَثَلُ الكفار السفهاء، الذين عطّلوا عقولهم، فكان مصيرُهم نارَ الجحيم[1].!

وصَدق اللّه العظيم حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] (ذرأنا): خلقنا.

والمعنى: لقد خلقنا خلائقَ كثيرينَ لنارِ جهنم، ليكونوا لها وقوداً وحطباً، لهم قلوب معميّة، لا يفقهون بها الحقّ، ولهم أعينٌ لا يُبْصِرون بها

(١) انظر كتاب براهين وأدلة إيمانية لفضيلة الشيخ حبنكة الميداني ص١٥٨.

طريقَ الرشاد، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها المواعظَ والنصائح، أولئك كالبهائم والحيوانات، بل هم أضلُّ منها وأسوأ حالاً، لأنَّ البهائم تُدرك منافِعها ومضارَّها، وهؤلاء الكفار لا يميِّزون بين المنافع والمضار، أفلا يكونون أسوأ حالاً من الدواب والبهائم!؟

لقد أثبت القرآن لهم القلوبَ، والأسماع، والأبصار، لكنهم لم يستفيدوا منها، فصاروا كالبهائم السارحة، تسمع ولكنها لا تفهم ولا تعي.

❁❁❁

obeikandl.com

البرهان الرابع

وحدة النِّظام الكوني

انظر بعين البصيرة إلى ما حولك في هذا (النظام الكونيّ) البديع، تجدْ فيه (وَحْدةَ النظام)، بَدْءاً من (عالم الذرّات) إلى (عالم المجرّات) وهي بوضوحٍ وجلاءٍ تدلُّ على (وحدة المنظِّم)، المبدع الحكيم.!

دليل الإبداع في خلق الإنسان

الإنسان من حيثُ هو إنسان، مخلوق بتركيب بديع عجيب، لا يختلف إنسان عن آخر، إلّا في الهيئة، واللون، والطول، والقِصَر، أمّا (الصورة الإنسانية) فواحدة، لا يختلف فيها إنسان عن آخر في التركيبة، والصورة.!

لا نجد مخلوقاً من البشر، صورتُه صورةُ إنسان، ورأسُه رأسُ حمار، ولا شخصاً يمشي على أربع بصورة إنسان، أو بصورة قرد، لأن الذي خلق هذا (النوع الإنساني) قد أبدع خَلْقه، فجعله متناسب الأعضاء، متكامل الصورة، متجانساً مع غيره من أبناء جنسه، فلا يختلف الإنسان (الصينيُّ) عن الإنسان (الأمريكي)، ولا الشرقيُّ عن الغربيّ، إلّا في اللّوْن واللّسان ـ اللغة ـ أمّا الخلقُ والتركيب فواحد، ممّا يدلُّ على أن الأمرَ يخضع لإرادة (منظّم واحد) اختار لخلقه هذا الأسلوب من النُّظم، التي لا عدَّ لها ولا حصر!

إثبات وحدة الصانع

لو كان الصانعُ غيرَ واحد، لتنوعت الأشكالُ والأنفسُ والصُّور، ورأينا العجب العُجاب من المخلوقات المتباينة في البشر.

هل رأيتم إنساناً له ثلاثة رؤوس، وعدّةُ أرجل يمشي عليها!

هل شاهدتم شخصاً له عينٌ كعين البقرة، وعينٌ كعين الغزال؟ هل يوجد بين البشر من له قلبان؟ أو له لسانان؟ أو فمه فوق أنفه؟ أو وجهُه إلى الخلف، يمشي على غير العادة، التي يمشي عليها البشر؟

obeikandi.com

أَلَا يدلُّ هذا التساوي في (الخلق والإبداع) على وجود منظِّم نظَّم شأن مخلوقاته، فساوى بينها في الخَلْقِ والتصوير، وأبْدَع خلقه!؟ وصدقَ اللَّهُ العظيم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٥] أي في أجمل شكل وصورة.

كما قال سبحانه في موطنٍ آخرَ من كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

أي صوَّركم وخلقكم في أجمل صورة، وأبدع شكل، متناسبي الأعضاء، منتصبي القامة، ولم يجعلكم كالبهائم، منكوسين تمشون على أربع!؟

❁❁❁

openkandl.com

إثباتُ وحدةِ النِّظامِ الكونيِ

ومن هنا يَتَّضحُ لنا بكل جلاء، أن الكون خاضع (لوحدة نظام)، تهيمنُ عليه، وتملكُ كلَّ صغير وكبير فيه، وأنه سائرٌ بانضباطٍ تام، وتدبير مدهش، وهذا يدل على (وحدة المنظِّم) وهو الخالق جلَّ وعلا ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

هذا هو البرهان على وجود الخالق جلَّ جلاله، عرفناه من النظام الموحَّد في هذا الكون الرائع، الذي يسير بنظام محكم، وتدبير بديع ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦].

أي الشمسُ والقمر يجريان بحساب دقيق منظَّم، لا يختلف ولا يضطرب، ولا يتوقف، لأنه تقدير العزيز العليم، فالنجوم الساطعة، والأشجار الباسقة، تسجد للّه الواحد القهار، النجوم بالتنقل في البروج، والأشجار بإخراج الثّمار.

ومعنى السجود في الآية: ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ هو الانقيادُ لأمر اللّه، فهو سجودُ طاعة وانقياد، وارتباطِ المخلوق بخالقه، فالكونُ كلُّه مرتبطٌ في سيره ونظامه، وفي حركته وسكونه، بالخالق المبدع الحكيم.!

أمثلة على اضطراب النظام

تصوَّر أنَّ الشمس غضبت علينا، لكثرة معاصي البشر، وامتَنَعتْ أن تُشْرِق على أهل الأرض، واختفت عنا عاماً كاملاً، بل شهراً من الشهور، ماذا يحدث للناس؟ هل سيبقى أحد على سطح الأرض!؟

سنرى الكرةَ الأرضية كلَّها يلفُّها شَبَحُ الظلام، وتُعْدَم الحياةُ على سطحها، لأن كلَّ ما فيها يتجمَّد، فلا يبقى إنسانٌ، ولا حيوان، ولا نباتٌ، ولا شَجَر، ولا ثَمَر، إلَّا ويهلك ويفنى.!

obeikandl.com

ولو أنَّ الشمس اقتربت منا عُشْر المسافة، التي قدَّرها اللَّه بيننا وبينها، لاحترق كلُّ ما على وجه الأرض، ولم يبق فيها ناطقٌ ولا جامد.

ولو استمرَّ النَّهارُ بلا انقطاع لفسدت الحياةُ.

ولو استمرَّ الليل بلا انقطاع، لفسدت كذلك حياتنا على سطح هذا (الكوكب الأرضي)، فمن الذي أوجد هذا النظام؟ أليس الذي نظَّم هذا الكون، هو اللَّهُ المبدع الحكيم؟

❁❁❁

obeikandl.com

ظاهرةُ الليلِ والنَّهارِ من الآيات الباهرة

لقد نبّهنا الباري جلّ وعلا على ظاهرتين كونيتين عظيمتين، هما (ظاهرةُ الليل) و(ظاهرة النهار) وهما من الآيات الكونية الباهرة، الدالة على قدرة الله ووحدانيته، ولكنَّ النَّاسَ أَلِفُوا رؤية الشمس، تُشْرِق عليهم في الصباح، ثم تغرب عنهم في المساء، وهي تدور في نظام محكم، وأَلِفُوا النَّهَارَ يُقبِل ثم يُدبر، واعتيادُ الإنسان للشيء وإلفُه له، يُفقده ما فيه من روعة الإبداع والجمال. !

اقرأ معي وتمعَّنْ هذه الآيات الساطعات، والدلائل الباهرات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ • قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ • وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ ـ ٧٣].

﴿سَرْمَدًا﴾ أي دائماً من غير انقطاع.

إن الناس يشتاقون إلى الصبح، حين يطول عليهم الليلُ قليلاً في الشتاء، ويشتاقون إلى الليل، حينما تُحرِقهم الشمسُ بحرارتها الشديدة في أيام الصيف، وربَّما انقطعوا عن العمل في الصيف، وجعلوا عمَلَهم بالليل، فماذا يصنعون لو استمرَّتْ عليهم الشمسُ دائمةً، دائبةً بدون انقطاع؟

أَلَا تصبح الحياة كلُّها معرَّضةً للفناء والدمار؟

ولهذا امتنَّ الباري جلَّ وعلا على عباده بعد ذكر الآيتين بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

دعاءٌ: اللهمَّ عرِّفنا نِعَمَك بدوامها لا بزوالها، وارزقنا شكر هذه النِّعم، يا ربَّ العالمين!!

❁❁❁

المقارنة بينَ الإيمان باللَّه أو الاعتقاد بالطبيعة

إذا سألتَ أحداً من الذين يزعمون أنهم من (المثقَّفين)، ممَّنْ تأثَّروا بالأفكار الشيوعية الإلحادية: وسألتَه مَنْ أوْجدَ هذه العوالم؟ ومَنْ خلق هؤلاء البشر؟ إنه يُسارع لك بالجواب ويقول لك: أوجَدَتْهُ الأسبابُ، أو يقول: خَلَقَتْهُ الطبيعةُ!!

إنّه لا ينكر أنَّ هذه الحوادثَ لا بدَّ لها من (مُحْدِثٍ)، ولا ينكر أن وجودها ـ بعد أن كانت معدومة ـ لا بدَّ لها من (مُوجِدٍ)، ولكنه ينسب ذلك إلى (الأسباب)، أو (إلى الطبيعة).!

قل له: عرِّفْ لي الطبيعة ما هي؟ ما هي عناصرها ومقوماتها؟

يقول لك: أَمَا تعرف الطبيعة؟ إنها الكونُ الذي نعيشه ونراه: (الجبالُ، والبحارُ، والأنهارُ، والأشجار)، وكلُّ ما تراه حولك، وما تبصره بعينيك، هو الطبيعة!!

ما هي عناصر الطبيعة الأصليَّة؟

فقل له: ممَّ تتكوَّنُ عناصرُ هذه الطبيعة؟

قد يعجز عن الإجابة، أو يتضجَّرُ ويتبرَّم من هذا السؤال، ويقول لك: أنا لا أدري!

فقل له: أنا أُخبرُكَ عنها، وأوضّح لك حقيقة أمرها:

عناصرُ الطبيعة الأساسية هي أربعة كما يقول العلماءُ الطبيعيُّون:

١ ـ **الماءُ الذي نشربه.**

٢ ـ **والهواءُ الذي نستنشقُه.**

٣ ـ **والترابُ الذي يخرج منه النباتُ.**

obeikandi.com

٤ ـ والنَّارُ التي يَسْتَوقِد بها البشر.

فالماء والهواء أساسٌ لحياة كل مخلوق ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] والترابُ والنار أساسٌ لبقائه، واستمرارِ حياته، كيف يعيش الإنسان والحيوان بدون غذاء؟ ومن أين يخرج الزرعُ والنباتُ؟ أليس من تربة الأرض؟

حرارةُ الشمس ضرورية للنبات

هل يخرج النَّبَاتُ والثَّمَرُ، بدون حرارة تنبعثُ من الشمس!؟

إنَّ هذه هي العناصرُ الأساسية للطبيعة، ولهذا ذكَّرنا اللَّهُ في كتابه العزيز، بنعَمِه الجليلة علينا، بهذه النِّعَم، فقال عزَّ شأنه:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ • ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ • لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ • إِنَّا لَمُغْرَمُونَ • بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ • أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ • ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ • لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ • أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ • ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ • نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٧٤].

﴿تَحْرُثُونَ﴾ من الحرث بمعنى الزرع ﴿حُطَٰمًا﴾ هشيماً متحطِّماً كالتِّبْن ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتحسرون وتتفجعون على ما حلَّ بالزرع والثمر ﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السُّحب جمع مزنة ﴿أُجَاجًا﴾ مالحاً شديد الملوحة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين.

بعد هذا جابِهْه بهذا السؤال المُفْحم:

قل له: هل للطبيعة عقل؟ هل لها سمعٌ، وبصرٌ، وإدراك؟ هل تستطيع أن تخلُقَ إنساناً سميعاً بصيراً عاقلاً!؟

فاقد الشيء لا يُعطيه

إنَّ فاقد الشيء يستحيل أن يمنح شيئاً فَقَده من نفسه، أو يعطي ما لا يملكُهُ هو؟

هل رأيتم أعمى يدلُّ الناس على الطريق؟

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيراً لَا أَبَا لَكُمُ ... قَدْ ضَلَّ من كَانَتِ العِمْيَانُ تَهْدِيهِ

هل يوجد إنسان عنده ذرةٌ من عقل، يصدّق (هذه الخرافة) فيؤمن بأنَّ هذه الطبيعةَ (العمياءَ، البكماءَ، الصمّاءَ)، تخلق إنساناً سميعاً، بصيراً، عاقلاً؟

من الذي يتصرّفُ في هذا الكون؟ هل الجبالُ، والبحارُ، والأنهار، والوديانُ والأخشاب والأحجار، هي التي تصرّفنا وتسيّرنا حسب إرادتها؟ أم نحن البشر نخرِقُ الجبالَ، ونقطعُ الأشجارَ، ونركبُ البحارَ، فنسيّرها حسب رغبتنا وإرادتنا!؟ إننا نصنع الأعاجيب في هذه الطبيعة؟

فهل هناك خرافة أخرقُ، ممن يزعم أنَّ الطبيعة خلقتنا، ومنحتنا العقل والفهم؟

وهل هناك بطلانٌ أوضح من هذا البطلان؟

الحمارُ نفسُه لو نَطَق لَقَهْقَهَ ساخراً وقال: يا لَحَمَاقةِ من يقول بهذا القول!!

obeikandl.com

حماقة من ينسب الخلق إلى الطبيعة

وما أبدع ما قاله بعض الشعراء، عن الذين ينكرون (وجود اللّه) ويُثبِتون الخَلْقَ (للطبيعة)!؟ استمعْ إلى هذه الروائع من الأشعار، حيث يقول ساخراً متهكماً:

هل في عُقُولِ المُلْحِدين غَبَاءُ ... أم في قلوب الملحدين عَمَاء؟
أيصحُّ عقلاً أنَّ (عَقْلاً) مُبْدِعَاً ... قد أوجدَتْه «طبيعةٌ» بَلْهاء؟
وإذَا «الطبيعةُ» أدركتْ وتصرَّفتْ ... قلنا: الطبيعةُ والإلٰه سواء
اللّهُ أحيا الكائناتِ بفضله ... فبصَنْعَتِها تتخاطبُ الأشياء [1]

❁❁❁

(١) هذا الكلام نذكره للمؤمنين العقلاء، الذين يصدّقون بالغيب، ويعتقدون اعتقاداً جازماً قاطعاً بوجود الملائكة والجن، لأنه الخبر الإلٰهيُّ القاطع، أما الذين ينكرون الملائكة أو الجنَّ، زعماً منهم أنَّ العلم لم يثبتها، لعدم الرؤية لها، ويزعمون أنهم فلاسفة وعباقرة من (العلمانيين) فهم لا يؤمنون إلّا بما يثبته العلم، فهؤلاء وأمثالهم جماعة مغفّلون.
هل أحاطت علومهم بكل شيء؟ هل هم يعرفون حقيقة (الكهرباء) التي تسري في الأسلاك، وحقيقة (المغناطيس) و(الذرة)؟ وممَّ تتكون هذه الأمور!؟ إن كثيراً من المجاهيل الكونية، يقف العلم تجاهها خاضعاً، لا يدري حقيقتها ولا يعرف ماهيتها، وإنما يرى آثارها، وفي كل يوم يكتشف العلماء الجديد من المعارف.
إن العلم لا يزال وليداً يحبو، وطفلاً صغيراً أمام عظمة الغيب وجلاله، فلا يعلم العالمُ أسرارَ الموجودات التي بين يديه، والتي يستخدمها في تجاربه، فضلاً عن أن يعلم ما في هذا الكون الواسع الفسيح، في عالم المُلك والملكوت، وقد أخذ العلماء المتمكنون في (العلوم الكونية)، من الإقرار بعجزهم عن الإحاطة بما حولهم، حتى قال بعض كبار العلماء الغربيين: (إن التقدم العلمي، لم يتوصل بعدُ إلى قياس شيء، من بحر عالَم الغيب الكبير، بل ما زال عاجزاً حتى هذا العصر (عصر التطور المذهل) عن قياس أمور كثيرة تفوق الحصر، داخلة في العالم الماديّ، الذي هو مجال كلّ أنواع التقدم العلمي، الذي انتهت إليه النهضةُ العلمية الحديثة).
وحقاً الأمر كما قال ربُّ العزة والجلال ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾!.

obeikandl.com

براهينُ إيمانية على وجود الخالق

يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه اللَّهُ، في كتابه القيّم «براهينُ إيمانية»:

(يريد الملحدون منّا، أن نلغي عقولَنا، ونلغيَ أدلةَ العلم القطعيّ الصحيح، فنعتقد معهم (اعتقاداً خُرَافياً) لا دليلَ عليه مطلقاً، بأن الأحداث الكونية، والتغيّرات التي تحدُثُ في الكون، إنما تحدثُ بنفسِها بطريقةٍ ذاتية، دون أن يكون وراءَها إلٰه قويٌّ، عليم حكيم، ذو إرادة واختيار!

يريد الملحدون منّا أن نعتقد مثلَهُم، بأنه لا وجود لرب خالقٍ لهذا الكون، دون أيِّ سَنَدٍ من العقل، ودون أي سَنَدٍ من العلم، مع أن قانون الوجود ينطق بأنه لا حدوث لشيء، ولا تغيُّر لشيء، إلّا بسبب.

ويظهر أن (قانون السببيّة) لحدوث شيء من العدم، هو من (القوانين البَدَهيّة)، التي لا يقبل عاقل من العقلاء، بحال من الأحوال، احتمالَ أن شيئاً حَدَث بنفسه تلقائياً دون سبب!!

ثم يضرب مثلاً بديعاً، وهو مثلٌ بديعٌ رائع، فيقول رحمه اللّٰه:

«تصوَّر لو أنك وضعتَ في صندوقك المقفل، كلَّ ما جمعتَه من ذهب وفضة، وضعتَ ذلك في صُرَّة، ثم غبتَ عنه شهراً أو يوماً، ثم رجعتَ إليه بعد ذلك، فلم تجد صُرَّة نقودك!!

وبعد البحثِ والتحرّي الشديد، وجدتَ صُرَّة نقودك بأكملها، داخلَ صندوقٍ عند جارٍ لك، وطالبتَه بها، فادَّعى أمام القاضي أنها انتقلت إلى صندوقه بنفسها، وأنه لم يسرقها، وإنما رآها تمشي في الهواء بنفسها، متَّجِهةً إلى صندوقه المبارك الميمون!!.

وأخذ يدَّعي دَعاوىٰ يؤلِّفها من خَيَاله، تأليفاً خُرَافياً، فهل يصدّقه القاضي؟

وهل يوجد عاقل في الدنيا، يصدّق مِثْلَ هذا الكلام؟

- إنَّ الناسَ كلَّما ازدادوا عِلْماً وخِبرةً، ازدادتْ لهم (الأدلَّةُ) و(البراهينُ) على الخالق العليم الحكيم، الذي أتقن كل شيء صُنعاً!
- **ندخل داراً فنرى أثاثها، مرتَّباً بنظام حَسَن دقيق**، موافقاً للمصلحة، فنقول على البديهة: إن هذا الترتيب لم يأت عن طريق (المصادفة)، وإنما هو أثرُ فِعْلِ فاعلٍ، عليمٍ، متقنٍ، مختارٍ!
- **ونرى ثوباً محكم الخياطة والتفصيل**، فنحكم بداهةً أن (خيَّاطاً) ماهراً قد أتقن خياطته وصنعه.

ونرى آلةً كهربائية أو ألكترونية متقنة الترتيب، فنحكم أن صانعاً مهندساً ماهراً، قد أتقن صنعها، ولم توجد محكمةً بهذا الشكل البديع مصادفةً، ولم تَصْنَعْ نَفْسَها بنفسها، أفلا نؤمن بالخالق، العليم الحكيم[1]!؟

- **وصدق اللَّه العظيم حيث يقول:** ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ • أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٤٣].
- يا سبحان اللَّه!! كيف نقبل قول من يقول: إنَّ الأخشابَ التي نقطعُها من الأشجار، فنصنع منها الكراسي، أو المقاعدَ والطَّاولات؟ وأحجارَ الرُّخام التي نبني منها الدور، أو نجعلها في بيت الخلاء ـ التواليت ـ عند قضاء الحاجة، هي التي أوجدتنا وخلقتنا!؟ أليست هذه أسفهُ من حماقةِ هَبْنَقة؟
- أليست هذه الأخشابُ والأحجارُ من الطبيعة؟ التي يدَّعي الملحدون أنها هي سببُ وجودنا، وهي مصدرُ حياتنا وبقائنا؟ وهي بقدرتها الفائقة، خلقَتْ هذا الكونَ البديع؟!
- **أليس هذا الكلام من الخَبَل والجنون**، الذي لا يقبله ولا يرضاه، من له أدنى مُسْكةٌ، من وَعْي أو عقل.!

❁ ❁ ❁

(١) انظر كتاب (براهين إيمانية: للشيخ عبد الرحمن حبنكة (٥٨).

obeikandl.com

كلمةٌ بديعة لسعيد النَّوْرسي

يقول الإمام (بديع الزمان سعيد النورسي) الذي نوَّر اللّه بصره وبصيرته، في رسالته البديعة «رسالةُ الطبيعة» ردًّا على من زعم أن هذا الوجود من فِعْلِ الطبيعة، يقول رحمه اللّه تعالى:

(إنَّ المشَاهَدَ أمامنا في هذا الكون، وما فيه من النظام والانسجام، إذا كان هذا الموجود، في غاية (الانتظام والميزان)، وفي منتهى (الدقَّة والإتقان)، فلا بدَّ أن يكون صادراً عن يدٍ واحدة، لإلهٍ واحد، حكيم قدير.

فإنَّ إسنادَ (المخلوقِ المنتظِم)، الموزون المتناسق، إلى (طبيعةٍ) عمياءَ، صمَّاءَ، جامدة، لا شعور لها ولا عقل، إنه مستحيلٌ مائةَ مرة، إذ هو بعيدٌ كلَّ البعد عن منطق العقل والفهم!!

يقول: **إنك أيها الإنسانُ موجودٌ بلا شك**، وأنت معْمَلٌ عظيمٌ، متقَنُ الصُّنع، وجسمُك يشبه (قصراً فخماً)، عامراً بالزخارف، فيه أحجارٌ، مرصوصةٌ بعضها إلى بعض، في بناءٍ محكم، أفليس ذلك دليلاً على وجود إلهٍ مبدعٍ حكيم!؟

أضرب لك مثالاً واحداً، على استحالة أن يكون وجودك وخَلْقُك، إنما جاء (صُدفةً)، أو كان من إيجاد الطبيعة العمياء.!

إنسانٌ معزولٌ عن عَالَم الحَضَارة والمدنيَّة، يعيش في أعماقِ غابةٍ بعيدة عن العُمْران، كما تعيش وحوش الغاب وضواريه!!

يشاء القَدَرُ أن يجد نفسه أمام قصرٍ فَخْم بديع، يزهو بزينته، ويتلألأ بأنواره، في فلاةٍ ـ صحراء ـ خالية موحشة، فيَقترب منه ويدورُ في أرجائه، فتدهشُه براعةُ بنائه، ونقوشُ جدرانه، وروعةُ إتقانه.!

وبكل سذاجةٍ يمنحُ القَصْرَ حياةً، ويُعْطيه قدرةً على تشييد نفْسِه بنفْسِه ـ

أي أنَّ هذا القصر بُني بنفسه ـ لا لشيء، إلَّا لأنه لم يجد أحداً خارج القصر، في تلكَ الفلاة، لينسبَ إليه بناءَ هذا القصر!؟

دَخَلَ يتحرَّى البانيَ داخلَ القصر، لعلَّه يعثرُ عليه، وما وقع بصره على شيء إلَّا وتردَّد فيه، وشكَّ في كونه قادراً، على إيجاد مثلِ هذا القصر، الذي يملأ أقطار العقل والنفس، بروعة صنعه، وجمال بنائه.!

أَلَا ما أسخفَ تفكيرَ هذا (الأحمق الجاهل)، إذْ نَسَبَ صُنْعَ هذا القصر، إلى شيءٍ لا يملك يداً يعمل بها، ولا بصيرةً يُبْصِر بها، ولا عَقْلاً يستطيع به إبداع هذا الجمال؟ فكشَفَ بذلك عن مدى عُمْقِ جهله، وتأصُّل حماقته!!

وهكذا تفكيرُ من يَدِينونَ (بصنع الطبيعة)، وينكرون (عظمة الألوهية) في صنع اللَّه البديع.

أليس جديراً بنا أن نصف أصحابَ هذا المذهب (مذهبِ الطبيعة) بأنهم أسخفُ حماقةً من هَبَنَّقة[1]!!

فكرةُ (المُصَادفةِ) سخيفةٌ وباطلة

أمرُ الإيمان وطريقُه سهل يسير، ينفسح له القلبُ، ويتقبَّلُه العقل!!

وأمرُ الإلحاد والشركِ معضلٌ عسير، ينقبض له القلب، ويرفضه العقل!!

عندما ترى (كتاباً مطبوعاً) طباعةً أنيقةً فاخرة، وتتأملُ في صفحاته، فيدهشك ما فيه من كلام جميل منمَّق، وما فيه من منطقٍ عقلي، وإبداعٍ في التعبير، تتيقَّنُ أنَّ مؤلِّفه شخصٌ عبقريٌّ ماهر، ويَسْري إلى قلبك هذا الشعور، دون تكلُّفٍ ولا عناء.!

وحين تقرأ (قصيدةً شِعْرية)، فاقتْ في الإبداع والجمال كلَّ خيال، تعتقد من قرارة نفسِكَ، أنَّ ناظمَها شاعرٌ مفْلِقٌ لامع، مَلأَ بإبداعه ناحيةَ البيانِ!!

فإذا جاء إليك شخصٌ يزعم أنه «فيلسوف» يريد أن ينتزع من صدرك هذا اليقينَ والإعجابَ، ويقول لك: لا تصدِّق بهذا الكلام، هذا الكتابُ لم يؤلِّفه

---

(١) هذا مَثَلٌ يُضرب لشدة الغباء والحماقة، فيقال: هذا أسخف وأشدُّ حماقةً من هبنَّقة، وانظر مجمع الأمثال للميداني.

أحدٌ، وهذه القصيدة الشِعريَّةُ لم ينظمها شاعر، إنما اختلطت الحروفُ في المطبعة، وتداخَلَ بعضُها ببعضٍ واجتمعتْ، فتألَّف منها الكتابُ، وظهرت هذه القصيدة المنمَّقة!!

هذا هو الفارقُ بين سبيل (الإيمان) وسبيل (الكفر)[1].!

جعفر الصَّادقُ يُسألُ عن اللَّه؟

سأل سائلٌ الإمامَ «جعفراً الصَّادقَ» ـ من أئمة بيت النبوة ـ عن اللَّه عزَّ وجل؟

فقال الإمام للسائل: ألم تركبْ البحرَ في حياتك؟

قال: بلى، ركبتُه مرَّاتٍ، ومرَّات.!

قال: هل حدث مرَّةً، أن هاجتْ بكم الريحُ عاصفةً، وشعرتَ بالخطر؟

قال: نعم.

قال: وانقطع الأملُ بربَّان السفينة، ووسائلِ النجاة؟

قال: نعم.

قال له الإمام: فهل خَطَر ببالك، وانْقَدَح في نفسك، أنَّ هناك من يُنْجِيك من هذا الكرب والبلاء إن شاء!؟

قال: نعم.

قال الإمام جعفر رضي اللَّه عنه: ذلك هو اللَّهُ جلَّ جلاله.

هكذا تتيَقَّظُ فطرةُ الإيمانِ في الإنسان، كلَّما حَزَبه أمرٌ، أو ضاقت عليه الشدائد، اسمعْ قولَ الحقِّ جلَّ وعلا حيثُ يقول:

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

❁ ❁ ❁

(١) انظر كتاب (رسالة الطبيعة) للإمام سعيد النُّورسي رحمه الله.

قصّةُ أوّلِ رائدٍ للفضاء

من عجائبِ الأحداث والأخبار، أنّ أوّلَ تصريح لرائد الفضاء السوفيتي «جاجارين» ـ وهو أوّلُ من دارَ حول القمر (بمركبته الفضائية)، بعد دهشته ممّا شاهد، ودهشته من هول أبعاد الكون، ورغبته في أن يعود إلى الأرض سالماً ـ أنه قال أمام عدسات المصوّرين ورجال الأنباء: (لمّا علوتُ في أجواء السماء، بَهَرَتْني روعةُ الكون، وأدهشتْني عظمةُ الخالق، فأخذتُ أبحث عن اللّه، وأتعرّف عليه من هذا الكون الواسع)!!

وهكذا تفجّرَتْ الفطرةُ في قلبه ـ فطرةُ الإيمان باللّه ـ!!

غَضِبَ عليه أسيادُه الشيوعيون، وأمروه أن يغيّرَ التصريحَ، فزاد في اللقاء الآخر أمام رجالات الأنباء، هذه العبارة: (أخذتُ أبحثُ عن اللّه، فلم أجِدْه) فكانت العبارةُ الأخيرةُ (فلم أجِدْهُ) إرضاءً لأتباع مسيلمة الكذّاب!

❁❁❁

obeikandl.com

الأدلةُ الكونيةُ من القرآن الكريم
سبعةُ أدلَّةٍ على وجودِ اللهِ ووحدانيته

إنَّ تعلُّقَ الطبيعيين بالطبيعة، شيءٌ مَوْهومٌ، لا وجودَ له، إلَّا في مخيَّلتهم، فإنَّ هذا الكونَ الذي نراه، والوجودَ الذي نشاهده، إنَّما هو صنعةُ صانع، وحكمةُ حكيم، وإبداعُ مُبدع، هو اللَّهُ ربُّ العزة والجلال، الكبير المتعال، إقرأ قولَه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ • وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ • وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ • وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٠ ـ ٢٥].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي من دلائل قدرته ووحدانيته، فالآية هنا بمعنى العلامة.

ذكر تعالى في سورة الروم سبعة دلائل وبراهين، على وجوده ووحدانيته وتدبيره، أي ومن علامات وجوده سبحانه، الدالة على وحدانيته، وكمال قدرته الباهرة، أن خلق أباكم وأصلكم ـ آدم عليه السلام ـ من تراب جامد، لم يشمّ رائحة الحياة، ثم أصبحتم بشراً عقلاء، تسيرون في الأرض وتتحركون، أليست هذه آية باهرة؟ هذه النُّقْلةُ الضخمة، تُثير التأمل في صنع اللَّه وإبداعه، فالإنسان نطفةٌ من ماء مهين، هذه النطفةُ يتخلَّق منها إنسان، حيٌّ ناطق، سميع بصير!!

وخَلْقُ الإنسانِ أعظمُ برهان على قدرة الإله الخالق المبدع، أتستطيع

الطبيعةُ الجامدة البلهاء، أن تخلق مثل هذه (العمارة الربَّانية) الإنسان، وهي فاقدة للعقل، والبصر، والإدراك!؟

كما ذكر سبحانه من دلائل قدرتِه ووحدانيتِه، خلْقَ السموات في ارتفاعها واتِّساعها، وما فيها من الكواكب والمجرَّات، والشمسِ والقمرِ، وخلْقَ الأرض وما فيها من البشرِ، والبهائمِ والأنعام، والبحارِ والأنهارِ، واختلاف الألسنة أي اللُّغات، من (عربية، وإنجليزية، وألمانية، وتركية) وسائر اللغات التي لا تُحصى، واختلاف ألوانِ البشر، من أبيضَ وأسودَ، وأصفرَ وأحمرَ، بحيث لا يشتبه شخصٌ بشخص، ولا إنسانٌ بإنسان، ثم مَنَامُ الخلائقِ بالليل، ويقظتُهم بالنَّهار، ثم حادثةُ البرق والرعد، ونزول الأمطار، إلى غير ما هنالك من دلائل القدرة الباهرة، لو عَقَلها البشر لما بقي فيهم أحد ينكر وجود الخالق المبدع الحكيم[1].!

فيَا عابدَ الأسباب! أيها المسكينُ المفتون بالطبيعة، إرجع إلى رُشْدك وعقلك، قبل أن ينهق الحمار فيقول: أيُّنا المجنون؟ أنا الذي أقرُّ بجهلي، أم أنت الذي تنكرُ الخالق!؟

❁❁❁

(١) راجع كتاب التفسير الواضح الميسَّر ص١٠٠٢.

obeikandl.com

قصَّةٌ فكاهيةٌ ظريفة

يُحكَىٰ أنَّ بدويًا مرَّ في طريقه على رجلٍ جاهل، يدعو إلى عبادةِ (السيِّد المسيح)، ويقول للناس: اعبدوا الربَّ «يسوع» الذي خَلَقنا، ورَزَقنا، ومات من أجلنا ـ أي صُلب ـ فضحَّى بنفسه من فَرْطِ محبَّته لنا!!

وكان هذا (الداعيةُ الجاهل) يُدعى (توما) وكان يركب على حِمَار، ويدور على النَّاس في القرى والأرياف، يدعوهم إلى عبادة الربِّ (يسوع) ويذكر لهم أقوالاً، لا يقبلها أحدٌ عنده ذرَّةٌ من عقل، فأنشد هذا الأعرابي ـ على لسان الحمار ـ هذه الطُّرافة والحكمة في بيتين من الشعر، قالها ارتجالاً:

يَقُولُ الحِمَارُ حِمَارُ (تُومَا) لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ
لِأَنَّ جَهْلِي جَهْلٌ (بَسِيطٌ) وَجَهْلُ تُومَا جَهْلٌ (مُرَكَّبْ)

وجرت هذه الحكمة مَثَلاً، للتفريق بين (الجهل البسيط) و(الجهل المركَّب) فالحمارُ يعلم أنه حمارٌ بسيط، وأمَّا ذلك الأحمقُ فهو جاهل، ولا يدري أنه جاهل، فجهلُه مركَّب، أي أنه أحمقُ، وأجهلُ من الحمار.

غرابةٌ وعجب

يا عجباً لمن يَجْحَدُ وجود اللَّه، وكلُّ ذرة في الكون ناطقةٌ بوجوده!!

يا عجباً لمن ينكر عظمة اللَّه وجلالَه، وكلُّ ذرةٌ في جسمه شاهدة بعظمته!!

يا عجباً لمن يُغمض عينيه، حتى لا يرى النور الساطع، ويَصُمُّ أذنيه حتى لا يسمع صوتَ الحقِّ المجلجل، ولكنْ كما قال الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] صدق اللَّه العظيم.

❁❁❁